زليخة ونبى الله يوسف

كيد النساء

obeikan.com

obeikan.com

زليخة ونبى الله يوسف

أورد القرآن الكريم قصة سيدنا يوسف بأسلوب عبقرى ، فهى معين لا ينضب لعلماء النفس والاجتماع والأدلة الجنائية ، وذلك العلم الذي أسسه وأرسى القرآن مبادئه ، ولعل الحديث عن الكيد في قصة سيدنا يوسف هو حديث بسيط يأخذ منها ما يأخذ المخيط من ماء البحر .

ولتكن بداية الحديث عن ما دار من مراودة زليخة ليوسف عن نفسه بكل ما لدى الأنثى من أسلحة فتاكة ، لكن يوسف عليه السلام حفظه الله تعالى ، فلما عجزت بكل سبل الإغراء ونفذ صبرها أرادت أن تستخدم آخر أساليب الأنثى وهو وجوده بين أحضانها لعله يلين لكنه أراد الفرار من أمامها ليتقى شرها فجذبته من قميصه وهنا شاء القدر أن يدخل زوجها الملك ومعه أحد أفراد أهلها وكان رجلا حكيما .

بأسلوب الأنثى هرعت زليخة إلى الملك ترتمى على كتفه وهي تبكى ببراءة مصطنعة وتقول له: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ [يوسف: ٢٥] ، فهى تريد أن تلصق التهمة بيوسف لتبرئ نفسها أولا ولتتمكن بعد ذلك من إخراج يوسف من العقاب الأشد والاحتفاظ به خالصا لها تحت رحمتها بعقوبة تضمن وجوده أمام عينها ذليلا صاغرا ، فتحدد العقوبة التي تفيدها قبل أن يثبت الاتهام بعد أن نصبت نفسها مدعية: ﴿ إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] ، لكن يوسف يدافع عن نفسه بقول الحقيقة ويعينه على ذلك صدقه لأنه ربى لديهم منذ صغره .

هنا يتدخل مرافق الملك الذي هو من أهلها فيضع أسس علم الأدلة الجنائية قبل أن يعرفه العالم كله قائلا: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧﴾ [يوسف: ٢٦ - ٢٧]، وبهذا بدت الحقيقة واضحة، فقميصه "قد": أى تمزق من "دُبُر" أى من الخلف حين جذبته منه لتعيده إليها، وبالتالى تجلت براءة يوسف.

فماذا تكون العقوبة؟ أو كيف يتصرف الملك في هذه المشكلة؟

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٠]، لابد من دفن الموضوع أن يسكت يوسف ولا يتكلم عن ذلك أبدا، وتنصح هي بعدم العودة لذلك: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، أما هي: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، كل ما يهم هذه الطبقة ألا تفوح رائحة الفساد الأخلاقى، لكن الخبر انتشر عن طريق خدم القصر إلى القصور الأخرى وانتشر الأمر بين زوجات الطبقة الأرستقراطية آنذاك أن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠].

لا محالة انتشر الموضوع وفاحت رائحة الفضيحة فماذا تفعل؟

لابد أن يعمل العقل الأنثوى بالكيد: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، صرن يتغامزن وينسجن الحكايات الصحيحة وغير الصحيحة ولابد من عمل يخرس الألسنة الحداد وسكتها عنها.

دعت زليخة هاتيك النسوة وأعتدت عتاد المعركة الحربية وجهزت أسلحتها وهيأت مكان المعركة بما يوفر لها فرصة النصر الأكبر، جهزت المكان في الحديقة الغناء وأحضرت الفاكهة الطازجة الشهية والسكاكين التي تقطع بها الفاكهة، وانتظرت حتى ينشغلن جميعا في تناول الفاكهة والحديث وأمرت يوسف أن يدخل عليهن، فلما رأينه خيم عليهن الذهول من جماله وبهائه وبحلقت العيون وفتحت الأفواه بعد أن توقفت عن الأكل، واستمرت الأيدى تجذ بالسكاكين لقطع الفاكهة لكن الثمار تجاوزها حد السكين ليقطع الأيدى وتسيل الدماء، ولا يفيقن من

ذهولهن لكن تنطق الألسن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، وتضحك زليخة ضحكة المنتصر وقلبها يعتصره الأمل فهى لم تنل منه ما تريد، فتصرخ فيهم بلوعة: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، وبجزم وإصرار تنظر إلى يوسف: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، فهى لا تزال تؤكد وأمامهن جميعا أنها تريده وأنها لم تنل منه بغيتها وقد اختارت العقوبة التي تخدم هدفها مثلما فعلت في المرة الأولى ولكن هذه المرة تتوعده بأن تسجنه وتذله إن لم يستجب لأهوائها لكن الله سبحانه وتعالى كان يحفظ نبيه.

* * *